

رواية البحث عن وليد مسعود بين الرؤية السيميائية والتأويل الأيديولوجي عند عبد اللطيف محفوظ

"The Novel *Searching for Walid Masoud* Between the Semiotic Vision and the Ideological Interpretation in the Works of Abdel Latif Mahfouz"

زروالة بلقاسم^{1*}، بن سميشة محمد²

¹ جامعة تيسيمسيلت، الجزائر، belgacem.zerouala@univ-tissemsilt.dz

² جامعة تيسيمسيلت، الجزائر، mohamed.bensemicha@cuniv-tissemsilt.dz

تاريخ الاستلام: 2025/09/07 تاريخ القبول: 2025/10/29 تاريخ النشر: 2025/12/02

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة مزدوجة للرواية، تجمع بين التحليل السيميائي الذي ينصب على البنية والدلالة والوظائف العلامية، والتحليل الأيديولوجي الذي يتوخى الكشف عن التمثلات الثقافية والسياسية التي تؤطر النص وتحكم تأويله. وتستند هذه المقاربة إلى التصور السيميائي لعبد اللطيف محفوظ، الذي لا يكتفي بمستوى البنية النصية بل يفتح على مستوى الخطاب والتأويل. من هنا، تطرح هذه الدراسة الإشكالية التالية: كيف تتقاطع البنية السيميائية لرواية البحث عن وليد مسعود مع تمثلاتها الأيديولوجية؟ وإلى أي مدى تسعنا تصورات عبد اللطيف محفوظ في بناء قراءة مزدوجة تعيد التفكير في العلاقة بين العلامة والخطاب

الكلمات المفتاحية: البحث عن وليد مسعود، السيميائية، التأويل، إيديولوجيا، عبد اللطيف محفوظ

.Abstract:

This study aims to offer a dual reading of the novel, combining semiotic analysis-which focuses on structure, meaning, and the functions of signs-and ideological analysis, which seeks to uncover the cultural and political representations that frame the text and govern its interpretation. This approach draws on the semiotic framework of Abdel Latif Mahfouz, which goes beyond the textual structure to open up to the levels of discourse and interpretation.

From this perspective, the study raises the following problem: How does the semiotic structure of *Searching for Walid Masoud* intersect with its ideological representations? And to what extent can Abdel Latif Mahfouz's theoretical insights help us construct a dual reading that rethinks the relationship between the sign and discourse?

Keywords: *Searching for Walid Masoud*, semiotics, interpretation, ideology, Abdel Latif mahfouz.

1- مقدمة:

تعد رواية البحث عن وليد مسعود للكاتب الفلسطيني جبرا إبراهيم جبرا إحدى العلامات البارزة في الرواية العربية الحديثة، لما تتضمنه من عمق فكري وبنية سردية معقدة وتأويلات متعددة سواء على مستوى التمثيل أو مستوى الهوية، فهي لا تقوم بسرد السيرة الذاتية لبطل الرواية وليد مسعود بل تتجاوز ذلك إلى مساءلة الذات العربية، في علاقتها بالتاريخ والمكان والانتماء والنضال والخيبة والفشل.

وقد لاقت هذه الرواية اهتماما بالغاً من قبل النقاد العرب وقد تنوعت دراستهم للرواية بحسب خلفياتهم الفكرية والفلسفية والمنهجية، ومن أبرز هؤلاء الناقد عبد اللطيف محفوظ الذي عالج الرواية من منظور سيميائي، استعان فيه بسيميائية غريماس في تحليل العلامات والخطابات "فقد بلور الناقد منهج دراسته في هذه المرحلة اعتماداً على المنهج السيميائي كما صاغه غريماس"¹، وفي المقابل نجد الناقد محفوظ قرأ الرواية من زاوية إيديولوجية، حيث استند إلى مرجعيات سوسيولوجية وتاريخية، إذ رأى في الرواية صراعاً رمزياً وتمثلاً سياسياً واجتماعياً، وفي هذا الصدد يقول إلياس الخوري: "تندرج هذه المقالات في إطار البحث داخل النص الأدبي نفسه، هذا لا يعني أنها متحررة من أي نسق أيديولوجي، فكل تأويل نقدي بديل، بشكل أو بآخر إلى مبنى أيديولوجي"².

ينطلق هذا المقال من إشكالية مركزية مفادها: كيف تتقاطع مقارنة عبد اللطيف محفوظ السيميائية والأيديولوجية في تأويل رواية البحث عن وليد مسعود؟ وماهي حدود كل مقارنة في الكشف عن المعاني والدلالات المتخفية في النص الروائي؟

إن هذا التساؤل يؤدي إلى فرضية أولية، وهي أن كل مقارنة للنص الروائي تقدم تأويلاً محتملاً، بغض النظر عن خلفياته الفكرية والمعرفية، لكن هذا التأويل المحتمل لا يكفي

للموصول إلى الدلالة المنشودة، ولا يكفي لفهم النص وهذا يتطلب تفاعلا بين المقاربتين، يمنح القارئ أفقا أوسع لفهم دلالات النص الروائي المختلفة والمتنوعة والتي عادة ما تظهر في شكل رموز يتعمدها الكاتب للتأثير في القارئ.

ولأجل تحقيق هذا الهدف اعتمدنا مقارنة تحليلية مقارنة، وتنفرع إلى أربعة محاور رئيسية

وهي:

أ- عرض الخلفيات الفكرية النظرية والمنهجية لمحفوظ.

ب- تحليل نماذج تطبيقية من رواية البحث عن وليد مسعود انطلاقا من التصور السيميائي لمحفوظ.

ج- قراءة نماذج لرواية البحث عن وليد مسعود من تصور أيديولوجي.

د- تقديم قراءة مقارنة تستخلص أوجه الاتفاق والاختلاف وتقيم مدى فاعلية ونجاعة كل مقارنة في الوصول للمعاني الخفية والمضمرة في الرواية.

وبهذا يسعى المقال إلى مساءلة القراءات النقدية لرواية البحث عن وليد مسعود والتي شكلت انعكاسا للصراعات السياسية والاجتماعية للذات العربية في زمن التصدع والانقسام والتشتت.

2-قراءة عبد اللطيف محفوظ السيميائية لرواية البحث عن وليد مسعود

ينطلق الناقد محفوظ في رؤيته للرواية من تصور سيميائي فهو يرى أن النص الأدبي عبارة عن بنية دلالية مركبة، تنتج المعنى عن طريق علاقات داخلية بين وحدات النص، وتفاعلاتها مع السياق التأويلي والتداولي، لذا فإن الوصول إلى ما تحمله النصوص من دلالات مختلفة وممكنة أمر مستعصي خصوصا إذا كانت تنطلق من فرضيات قرائية، ولعل تلك النظريات حاولت أن تقيد النص بقراءات منهجية صارمة وآليات مختلفة أدخلته في

مناهج ومأزق قرائي، "فهو بهذا الاتجاه التحليلي حوّل القارئ إلى متلق سلبي يتعامل مع النص تعاملًا آليًا، أسندت له مهمة تنفيذ برنامج معطى بشكل مسبق"³.

فهو لا يكتفي بوصف ظاهر النص، بل يسعى إلى تحليل آليات إنتاج المعنى، وفق ما يسميه سيميائيات التظهير، فالعلامات في النص هي التي تمكن البنية السردية من تأدية وظائفها التواصلية والجمالية والمعرفية.

استطاع الناقد عبد اللطيف محفوظ في إطار منهجه السيميائي السردى أن يستعين بتصورات ومفاهيم نظرية جزئية تمكّن من خلالها من التحليل الروائي، فقد استفاد من تصورات الشكلايين الروس واستعان بمكونات المتن والمبنى الحكائيين ووظفها في كتابه صيغ التمثيل الروائي ودعّمها بتصورات ومفاهيم (جيرار جينيت) حول مفاهيم الزمن، وصاغ مفاهيمه السردية للحدث في الرواية فوظف الصيغة السردية والمنظور السردى وتعدّد اللغات والأصوات السردية داخل الرواية، وحلّل الناقد العلاقة بين زمن الخطاب وزمن الحكاية والمسافة الزمنية في رواية (البحث عن وليد مسعود)، كما استخرج الناقد في الرواية فضاء التلفّظ وفضاء الملفوظ وأوضح العلاقة المتينة بينهما وبين الشخصيات.

لقد انطلق الناقد من منهجه السيميائي إلا أنّ خصوصية النص الروائي العربي جعلته يستعين بمفاهيم جزئية من نظريات مختلفة كالشكلائية والبنويّة السيبيونصية، كمفاهيم جيرار جينيت وميخائيل باختين في التعدد اللغوي في الرواية وتعدّد الأصوات، كما عالج الناقد بعض مكونات الخطاب كالزمن والسرد والفضاء ووظّفها في تحليله الروائي يقول عبد اللطيف محفوظ: "إن اعتماد منهج سيميائي رئيس، وخلق جسور بينه وبين مناهج أخرى قادرة على الإجابة عن الأسئلة التي تتجاوزها، مع ربط ذلك بخصوصية نص عربي قد برهن على قابلية إجرائية مسعفة في دراسة النصوص الروائية العربية على اختلاف مشاربها

وتوجهاتها الإيديولوجية⁴، وفي هذا السياق، فإن قراءة محفوظ لرواية البحث عن وليد مسعود لا تنحصر في تحليل الأحداث أو الشخصيات بمعناها النفسي أو المرجعي بل تسعى إلى تفكيك بنية الخطاب الروائي بوصفه فضاء دلالي متعدد المستويات، يتفاعل فيه الظاهر والمضمر والمحكي والمسكوت عنه.

2-1- التصور السيميائي لعبد اللطيف محفوظ لبنية رواية البحث عن وليد مسعود

تعتمد رواية البحث عن وليد مسعود على الراوي المتعدد حيث تتكفل أصوات عدة بالرواية على سرد سيرة شخصية واحدة وهي وليد مسعود، حيث تنتج هذه التقنية نظاما دلاليا معقدا تتوزع فيه حقيقة اختفاء وليد مسعود بين وجهات نظر مختلفة، وهو ما يجعل الرواية نصا تعدديا من وجهة نظر باختين وهي خاصية أشار إليها الناقد في قراءته السيميائية للرواية.

ويرى عبد اللطيف محفوظ هذا التعدد الصوتي آلية تظهير دلالية توظف اختفاء شخصية وليد مسعود كعلامة دالة على فراغ رمزي حيث لا يعتبر غياب وليد حدث واقعي بل يشير إلى تمزق الهوية الفلسطينية والعربية، كما يرمز إلى استحالة الوصول إلى حقيقة ثابتة، وبالتالي تصبح كل شخصية من شخصيات الرواية: (جواد حسني، كاظم إسماعيل، عيسى الناصر، مريم الصفار، مروان وليد، وصال رؤوف....)، علامة سردية تكشف زاوية من الذات الغائبة، مما يجعل الرواية تتخذ شكلا دلاليا مفتوحا، ويحتمل تأويلات مختلفة متنوعة بحسب قدرة القارئ أو المتلقي فعبد اللطيف محفوظ يتبنى رؤية ثنائية تخص القارئ والتأويل، فهو يعتقد أن "القراء يضعون المعاني وأن لهم الحق في إضفاء أي معنى تلزمه حاجاتهم النفسية على نص معين"⁵، وهذا يقودنا إلى القول أن النص هو حسيطة تفاعل بين القارئ والمنتج ويلعب فيه التأويل الحجر الأساس.

2-2- دور العلامة في تشكيل الدلالة:

ينطلق عبد اللطيف محفوظ في تصوره السيميائي من الطرح البيرسي، فهو يعتبر الرواية علامة يتم تشكيلها عبر مراحل مختلفة حيث ينتقل فيه الدليل (الرواية) من ممثل إلى مؤول، فالرواية قبل قبلها تشكلها اللغوي النهائي تنطلق من فكرة في ذهن الكاتب إلى غاية تحولها لنص روائي، وبما أن سيميائية بيرس تقوم على نسق ثلاثي ينطلق من العلامة والتي تتوزع إلى عناصر ثلاثة وهي الممثل والموضوع والمؤول، ولا يمكن أن توجد سيرورة سيميائية إلا من خلال العناصر الثلاثة التي يسميها بيرس السيميوز semiosis، وتعتبر الأساس في إنتاج الدلالات وتداولها فهي سيرورة غير منتهية من التأويلات.

وانطلاقا مما سبق لا يكفي الناقد بالوقوف عند بنية الرواية الكبرى، بل يتعداها إلى تحليل الرموز كالرسائل الغامضة التي تركها وليد مسعود والشريط الذي وجدوه في سيارته بعد اختفائه، حيث تعد مؤولا سيميائيا فهي تنتج تأويلات لا نهائية حول دوافعه ومواقفه وخيالاته، وبهذا يتحول النص من كونه حكاية عن غياب واختفاء وليد مسعود، إلى نظام دلالي يعيد إنتاج ذاته عبر التلقي، يلعب فيها القارئ دورا محوريا عبر تفاعله مع النص الروائي "وهكذا تقوم الرواية على تبني وجهات النظر المتعددة-والحاملة للتعدد داخلها أيضا- لتعمل على تمرير عملية البحث، من خلال أصوات متغايرة"⁶، وهو ما يجعل من وليد مسعود علامة مفتوحة تقبل التأويل السيميائي باعتبارها تمثيلا للاكتمال المستحيل للهوية.

2-3- العلاقة بين الشكل والمضمون في رواية البحث عن وليد مسعود

لا تقدم رواية البحث عن وليد مسعود حقيقة موضوعية فقط، بل تنسج عالما سرديا يقوم على انزياح المعنى، وعلى هذا الأساس يرى محفوظ أن الشكل الروائي من تعدد الرواة والنقطيع الزمني والتداخل السردى ليس مجرد تقنية بل هو بنية دلالية تُوْشِر على تفكك الوعي العربي وغياب المرجع الوحيد، وبالتالي لا تعتبر الرواية مجرد سرد لسيرة وليد مسعود

المختفي بل هي بناء نصي معقد يعيد تشكيل التجربة الفلسطينية والعربية بواسطة أدوات الحكي، والعلامة، والتمثيل الرمزي، كما تظهر الرؤية السيميائية لعبد اللطيف محفوظ أن البحث عن وليد مسعود رواية لا تنتج معناها من خلال ما تقوله بل من خلال كيفية قولها أي عبر بنيتها الخطابية وآليات التظهير التي تجعل القارئ شريكا في بناء المعنى، وإذا كانت هذه المقاربة تركز على الداخل نصي كنسق دلالي مستقل، فإن المقاربة الإيديولوجية تقدم تأويلا مختلفا، يؤكد على تمازج الأدبي بالتاريخي والذاتي بالجمعي.

3- التأويل الأيديولوجي لرواية البحث عن وليد مسعود:

يربط الناقد بين الرواية والسياق التاريخي والسياسي، فهو يرى أن النص الروائي لا ينفصل عن علاقات الهوية والصراع الطبقي، ويعود ذلك لتأثره بالماركسية النقدية والمدرسة البنوية التكوينية خاصة غولدمان، فالرواية عنده ليست بنية مستقلة بذاتها بل هي خطاب أيديولوجي يعكس تناقضات المجتمع والتاريخ، "فالأيديولوجيا هي نظام من الأفكار والمعتقدات والقيم التي تشكل رؤية معينة للواقع وتشكل سلوك الأفراد والجماعات في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والثقافية"⁷ فهو يولي أهمية كبيرة للمحتوى على حساب الشكل الروائي، وهذا يعني أن البناء الروائي في حد ذاته يغدو في خدمة الرسالة التي يريد الكاتب إيصالها للقارئ، وفي هذه الحالة يأتي "البناء الروائي الواقعي ليصف لنا حياة طبقة اجتماعية في علاقتها الخاصة وهكذا تتلخص الواقعية بالأفكار والمواقف لذلك يتراجع الشعر أمام الواقع، يخفت صوت البحث التشكيلي ليرتفع مكانه صوت الحوار العقلاني، وتكشف الرواية نفسها أرض ممارسة إيديولوجية"⁸، وعليه لا ينظر محفوظ إلى السرد بوصفه شكلا جماليا بل يعتبره أداة رمزية لصياغة الوعي، ومجال تتصارع فيه تمثيلات السلطة والمقاومة عبر ثنائيات الحضور والغياب والذات والآخر، ومن هنا فإن قراءته لرواية البحث عن وليد مسعود تتجاوز البنية اللغوية لتوصل رسالة اجتماعية وثقافية التي يسعى النص لنقلها

للقارئ، خصوصا القضية الفلسطينية، وانكسارات المشروع القومي العربي، وأزمات الذات العربية الحديثة بخيبتها وفشلها في تحقيق التوازن المنشود، ومن جهة أخرى "إن النص الروائي مطالب بتجسيد التناقضات والاختلافات الإيديولوجية التي قد لا تتفق بالضرورة مع مضمونه فالإيديولوجيات حين دخولها في البناء الروائي تتصارع فيما بينها بوصفها قيما واقعية وتعبيرا اجتماعيا وتخلق بالتالي علاقة تنازعية مع التصور العام الذي وظفت فيه"⁹.

3-1- الرواية مرآة إيديولوجية للواقع العربي:

ينطلق عبد اللطيف محفوظ في تأويله لرواية البحث عن وليد مسعود من فرضية تعبر عن هوية الذات العربية الممزقة، التي فقدت قدرتها على الفعل في ظل التناقضات السياسية والهزائم المتكررة، فشخصية وليد مسعود لا تحكي سيرة ذاتية له، بل هي في نظر محفوظ رمز للمثقف العربي الذي يعيش تمزقا وتشردما بين النخبوية والعجز عن تحقيق ما يصبو إليه، وطموحه لتحقيق التحرر والخيبة والفشل.

ويبرز الناقد، كيف أن الرواية تُعيد صياغة التاريخ الفلسطيني من خلال الحكي الذاتي، وهو ما يجعل السيرة الذاتية مرآة جماعية لهوية بأكملها فالاختفاء الذي تُبنى عليه الرواية لا يُفسر عند عبد اللطيف محفوظ كتقنية سردية فحسب بل هو صورة مجازية لاختفاء المشروع القومي العربي وعجزه عن تحقيق حلم التحرير والانبعاث، حيث "وتشكل الشخصيات تطورا جديدا على مستوى التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية، والذي انبثقت من إيديولوجيا رافضة تسعى لمقاومة المحتل الصهيوني ومن وراءه السلطة الحاكمة ونفس الشيء ينطبق على معظم شخصيات الرواية"¹⁰.

3-2- تمثيل الصراع الطبقي والثقافي في رواية البحث عن وليد:

بحسب منظور محفوظ، لا يمكن عزل رواية البحث عن وليد مسعود عن سياقها الثقافي فالشخصيات تمثل شرائح اجتماعية مختلفة، وتعكس تناقضات جذرية في المجتمع الفلسطيني والعربي فوليد مسعود يعكس فشل المثقف العربي عبر خيالاته المتكررة، بينما تمثل مريم الصّفار ووصال رؤوف تمثل تمثالات التمزق العاطفي والالتزام والتحرر العاطفي وانطلاقاً من هذا المفهوم يرى عبد اللطيف محفوظ أن رواية (البحث عن وليد مسعود)، خرجت عن ما كان مألوفاً في الرواية العربية فالمرأة لم تخضع لهذا القالب أو النمذجة وحطمت سيطرة الذكورية، وجعلتها تخضع للمسار الأنثوي فالعلاقة بين (وليد) و(وصال) لم تبرز إلا لتبين رغبة (وصال) كأنثى في إرضاء رغباتها البيولوجية ومكبوتاتها الداخلية، فتحوّلت إلى فاعلية إيديولوجية ولم تعبر عن خضوعها وسيطرة الذكورية لتلبية رغباته فهي رأت في الذات (وليد) صفات الرجل المثالي الذي تتمناه.

ومن جهة أخرى يرى أن البنية الحوارية في الرواية وصف للصراع بين خطابات متعددة، فلا صوت يهيمن بالكامل، مما ينتج حالة من الفوضى الخلاقة في السرد، تعكس واقعا عربيا مضطربا وغارقا في التيه والحيرة بين واقع لا يستطيع تجاوزه وطموحات لا يستطيع تجسيدها على أرض الواقع، و ترى الناقدة آراء عابد الجرمانى "أنّ استفادة الناقد من نظرية تعدد الأصوات بقيت في إطار الإخبار، ولم تتجاوز الإجراء السيميائي، أو الأبعاد الفلسفية الحاملة لآراء الشخص" ¹¹، ولعل هذا الرأي يعود إلى تبني الناقد في بحثه وجهات النظر المتعددة، والتي تنطلق من إيديولوجيات مختلفة للشخص من خلال أصوات متباينة، تُكسبها توجهاً ذاتياً يُمكنها من إبراز جوانب مختلفة تساهم في تحديد ماهية الواقع العربي، والذي يتميز بالتنوع والاختلاف.

3-3- الذاكرة والهوية والمكان في رواية البحث عن وليد مسعود:

تحضر ثلاثة مفاهيم دلالية كبرى في تأويل محفوظ وهي الذاكرة والهوية والمكان، حيث تتداخل هذه المفاهيم فيما بينها لتشكل الرؤية الأيديولوجية للرواية، فالذاكرة في رواية البحث عن وليد مسعود ليست استرجاع للذات وليد بل تمثل ذاكرة جمعية يعاد بناؤها في مواجهة النسيان التاريخي والسياسي، مما يحول الرواية إلى أداة مقاومة رمزية.

أما الهوية فتظهر في الرواية هشة ومتعددة، وليست ثابتة وهو ما يتفق فيه محفوظ مع تيارات ما بعد الحداثة، ويبرز ذلك في تناقض شخصية وليد الفلسطيني المنفتح على الغرب، والمؤمن والمتمرد والثائر على الواقع، والمنسحب في آن واحد ويتجلى ذلك في قول وليد: "إذا كنت تريد للعالم أن يتغير كما تدعي فانخرط في صفوف هؤلاء المحتشدين الصارخين في ساحة الدومو لأنهم في طريقهم إلى تغيير العالم أو ابق في مكانك تقرأ الكتب في هذا الحوش القديم"¹².

وأما المكان، فغالبا مما يعتبره محفوظ فضاء ضائعا سواء كان نابلس أو بغداد أو بيروت أو باريس وكلها أماكن ترمز إلى شتات الهوية وتبرز مأزق المنفى الجسدي والروحي، فوليد مسعود انتقل من الدير بحثا عن التنسك ثم انتقل إلى البحث عن العمل والتي مكنته من الانتقال من مكان إلى آخر ورغم ذلك كان يشغل باله بالضياع والحيرة والشك ويتجلى ذلك في قوله: "قررت هجر الدير نهائيا مهما جابهتني مصاعب العيش ومرارته في بلد غريب، وبسرعة رائعة عيّني في المصرف عنده ولكن براتب بخس"¹³.

3-4-رواية البحث عن وليد مسعود إنتاج للوعي:

يرى عبد اللطيف محفوظ أن الرواية لا تعبر عن رؤية أيديولوجية جامدة بل تعد خطاب ينتج الوعي، من خلال التناقض وكسر النموذج البطولي والتشكيك الدائم في المطلقات فشخصية وليد في الرواية ليست بطل بالمعنى التقليدي، بل هو بطل يعيش في حيرة وشك

وتردد، وتتحرك هذه الشخصية داخل عالم تثار فيه مجموعة من الأسئلة الوجودية والتي ترتبط بالقضايا القومية مما يمنح الرواية طابعا جديدا من حيث تفكيك الصورة التقليدية للمتقف والمناضل.

يقدم عبد اللطيف محفوظ قراءة أيديولوجية تُحمّل الرواية دلالات سياسية وثقافية، وترى في اختفاء وليد مسعود رمز لاختفاء الحلم العربي وتفكك الهوية الفلسطينية، واختلال في التوازن للمشروع العربي الإسلامي، رغم أن (وليد) استطاع بفضل رغبته القوية وطموحاته الجامحة من تحقيق طموحاته ولو نسبيا لمواصلة نجاحه والاستمرارية في مشروعه إلا أن ثنائيتي التخلي والفشل ظلّت ترافقه وتلازمه "غير أنه كان مبتلى بعلّة تمنع عنه ركض الشوط إلى آخره"¹⁴ تدل هذه العبارة على أن الذات (وليد) قد فشلت في تحقيق ما ترغب فيه.

إن هذه القراءة وإن كانت تفتح أفقا للتأويل الاجتماعي، فإنها بالمقابل تقوم بتقليص البعد الفني والجمالي للنص وهذا يؤدي إلى التفكير في مقارنة نقدية متوازنة، تجمع بين الأنساق الداخلية للنص كما في التحليل السيميائي والخلفيات التاريخية والسياسية والاجتماعية التي تحيط بالنص الروائي كما في التأويل الأيديولوجي، بهدف الولوج إلى عمق النصوص الروائية والإحاطة بدلالاتها المختلفة والمتنوعة.

مقاربة مقارنة بين الرؤية السيميائية والأيديولوجية لعبد اللطيف محفوظ لرواية البحث عن

وليد مسعود

4-الداخل نصي والخارج المرجعي منهجيتان مختلفتان:

تستند قراءة عبد اللطيف محفوظ على منهج بنيوي سيميائي، ينطلق من المعنى الذي ينتج من خلال نظام العلامات داخل النص وعبر التفاعل بين مستوياته السردية والدلالية، ومن زاوية أخرى يعتمد الناقد على مقارنة أيديولوجية والتي ترى النص جزء من الواقع لا يمكن الفصل بينه وبين السياق السياسي والاجتماعي الذي ينتجه ويعاد تأويله ضمنه، وهذا

الازدواجية في التحليل لرواية البحث عن وليد مسعود تعكس تباينا منهجيا يقوم في الأساس على طبيعة التلقي فمحفوظ يفكك بنية رواية البحث باعتبارها بناء نصي يعمل على إشراك القارئ في إعادة بناء المعنى، ومن جهة أخرى يقرأ الرواية بوصفها حقل دلالي يعكس الصراع الطبقي والسياسي والاجتماعي والذي يتضمن تناقض الذات وليد داخل المجتمع.

5- الشخصية في الرواية من العلامة إلى النموذج الأيديولوجي:

ينظر الناقد محفوظ إلى شخصية وليد مسعود كعلامة سردية مركبة تحيل إلى مؤولات متنوعة ومختلفة فهي لا تشير إلى مرجع واقعي وفقط، بل تؤدي وظيفة نصية داخل نسق مركب وسط مجموعة من العلاقات الدلالية، فاختفاء الشخصية هو حركة داخلية لتوليد التأويل والتشظي السردى مما يشكل انعكاسا للعمق البنيوي في النص الروائي، ومن جهة أخرى يرى محفوظ أن شخصية وليد مسعود تحمل دلالة رمزية أيديولوجية فهو يمثل شخصية المثقف العربي المأزوم، كما يبرز مسار الذات وليد في مواجهة الاستبداد والانكسار وهكذا تتحول الشخصية عنده من علامة تحمل دلالات عميقة إلى نموذج أيديولوجي يجسد خطابا تاريخيا فمواجهة وليد للأوضاع الاجتماعية والسياسية "عرفت شكلا معقدا، لأنها كانت ضد المجتمع والواقع العربي ضد واقع التخلف الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، ضد ثقافة وفكر السلطة-والامبريالية"¹⁵.

6- اللغة من وسيلة تأويل إلى مجال للصراع:

تشكل اللغة في التحليل السيميائي نسقا دلاليا مغلقا نسبيا ويخضع لقوانين التظهير والمقابلات العلاماتية، وهذا يجعل التحليل يركز على البنية الداخلية للرواية والوظائف النصية، أما في التحليل الإيديولوجي فاللغة هي ميدان للصراع الرمزي إذ تعكس الرواية تعدد الخطابات وتناقض المعاني وتكشف عن أزمة في التمثيل نفسه، فمحفوظ يقرأ البنية الحوارية

في الرواية باعتبارها مقاطع سردية تنتج تأويلات متنوعة بحسب قدرة الطاقة الإدراكية لكل قارئ و توجهاته الأيديولوجية، فهو يعدها تجلي للصراع الطبقي والفكري داخل المجتمع العربي، وبناء على ما سبق ينظر محفوظ إلى الرواية بوصفها نظاما جماليا لإنتاج المعنى فهو يركز على طريقة بناء النص من حيث البنية والزمن والتناص والأسلوب، فهو يراها أدوات أساسية لفهم النص الروائي ومن جانب آخر يتعامل مع الرواية بوصفها أداة لإنتاج الوعي وتعيد كتابة التاريخ المهمش وتعبر عن الهوية المفقودة للذات الفلسطينية وبالتالي تتجاوز رؤيته التأويل الدلالي إلى الرسالة التاريخية والسياسية الكامنة في رواية البحث عن وليد مسعود.

7-المقاربة السيميائية والإيديولوجية وإمكانات التكامل:

لا توجد مقاربة قادرة على استيعاب جميع مستويات النص الروائي، فالتحليل السيميائي على الرغم من دقته، إلا أنه يُغفل السياق التاريخي والبعد الإيديولوجي، وأما المقاربة الأيديولوجية وإن كانت تفسر وتؤول النص من جوانب متعددة فإنها تقتصر على جعل النص ذا وظيفة نضالية أو سياسية، مهملة الجانب الأسلوبي والجمالي.

وعلى هذا الأساس تبرز أهمية التكامل المنهجي، حيث يمكن للمقاربة السيميائية للنص أن تمنح أدوات لفهم بنية المعنى، في حين تقدم المقاربة الأيديولوجية الخلفية اللازمة لفهم سياقه ودوافعه، فالجمع بين داخل نصي وخارج نصي يُمكن القارئ من فهم أعمق للنص الروائي، إن "التكامل يتيح للنظريات التداخل لتوليد نظريات أخرى، فهل هذا ممكن في المناهج النقدية وهل يمكننا توليد منهج نقدي من خلال إتباع مناهج عدة؟ أم أن الدخول في مثل هكذا تجربة يستوجب الحذر لأن فيه مخاطرة من يحوم حول الحمى؟!¹⁶ⁿ.

ومما سبق يتضح من المقارنة بين القراءة السيميائية والإيديولوجية لرواية البحث عن وليد مسعود عند عبد اللطيف محفوظ تتسم بالتباين، فالأولى تهتم بالبناء الدلالي والثانية تغوص

في السياسة والتاريخ لكن كلاهما يتقاطع كلاهما في التأكيد على أهمية البحث عن وليد مسعود كعمل محوري في مسار الرواية العربية، كما يعكس أزمة الذات العربية والتي تقف في مواجهة المكان والهوية والانتماء.

8- اختفاء وليد مسعود بين التأويل السيميائي والتأويل الإيديولوجي:

يمثل حدث اختفاء وليد مسعود في الرواية وما تركه من رسائل لأصدقائه نقطة ارتكاز أساسية في البناء السردى للرواية سواء من ناحية الحكمة أو على مستوى الدلالة الرمزية للرواية، فالاختفاء لا يأتي ضمن سياق بولييسي وتشويقي بل يشكل بعدا رمزيا وفلسفيا ويعبر عن عمق الأزمة التي يعيشها الذات وليد ويمكن تحليل هذا الاختفاء من زاويتين مختلفتين: - رؤية سيميائية تنطلق من العلامة والسرد ضمن تحليل عبد اللطيف محفوظ. - رؤية أيديولوجية وتتناول البعد الرمزي للاختفاء للناقد.

9- التأويل السيميائي لحدث الاختفاء عند عبد اللطيف محفوظ:

يرى عبد اللطيف محفوظ أن اختفاء وليد مسعود ليس حدثا وفقط بل يعتبره علامة سردية بحيث تمثل هذه العلامة انزياحا سرديا داخل بنية الرواية، فالنص الروائي لا يقدم الاختفاء كواقعة محسومة بل يتركه مفتوحا على عدة احتمالات مما يفتح باب التأويل للقارئ ويخلص الناقد إلى ثراء وغنى الاحتمالات والإمكانات لتعدد معاني ودلالات الاختفاء، حيث يمكنها أن تجمع كثير من القراء المختلفين باختلاف درجات وعيهم وثقافتهم وأيديولوجياتهم، "ويزداد الأمر أهمية حين ينتمي النص إلى سياق ثقافي مختلف يجعل منه خير كاشف لنواة الوجود عبر تضاعيف الكتابة"¹⁷ فالقارئ وهو يحاول تفسير سبب الاختفاء يسعى لتحديد معنى وحيد من بين إمكانات المعاني المتعددة فهو يولد لدى القارئ تساؤلات عديدة، وهو ما يمنع المبدع أو الباحث الناقد من تحديد السبب الحقيقي للاختفاء.

تستند المقاربة السيميائية لرواية البحث عن وليد مسعود عند محفوظ على المفاهيم

التالية:

أ- **العلامة المفتوحة:** فكل علامة تحمل دلالة معينة وتتفرع عن هذه الأخيرة دلالة أخرى وهكذا تستمر في سيرة دلالية مستمرة وهو ما يفتح النص على تأويلات مختلفة ومتعددة فالاختفاء يؤدي إلى دلالات أخرى متنوعة.

ب- **تعدد الأصوات:** تُعد رواية البحث عن وليد من أبرز الروايات التي تم فيها التلاعب بالأصوات السردية والتي تُعيد بناء حياة وليد وهو ما يحول الرواية إلى نسيج متداخل من وجهات النظر.

ج- **الرسائل باعتبارها أدوات للتأويل:**

ينطلق الناقد محفوظ من مفهوم بيرس والذي يرى أن الرسائل التي تركها وليد بعد اختفائه تكشف عن دوافع الاختفاء لكنها لا تعطي إجابة حاسمة ونهائية، بل تزيد من الغموض وهكذا يُفسر الاختفاء سيميائياً بوصفه بنية دلالية مفتوحة تؤدي إلى تعدد المعاني والدلالات وتشترك القارئ في عملية إنتاج الدلالة ولكن لا تمنحه دلالة نهائية وتفسير نهائي لسبب الاختفاء.

10- **القراءة الأيديولوجية لعبد اللطيف محفوظ لاختفاء وليد مسعود:**

تقوم رواية (البحث) على اعتبار وليد مسعود شخصية تحمل دلالات على المستوى الثقافي الفكري الاجتماعي والسياسي، وكذلك ينبغي معرفة الظروف التاريخية التي أحاطت بالنص، لأن هذا النص السردى موجه بالدرجة الأولى لأفراد في مجتمع ما له ظروفه وخصوصياته الاجتماعية والثقافية والدينية، وعليه لا يمكن أن يكون التأويل ممكناً، إلا إذا كانت المادة المدروسة (وحدة منسقة) تتسم بصفات الكمال والشمولية¹⁸. ويساعد في هذا البحث البيئة المحيطة به من أصدقاء وزملاء وخلان للذات وليد فمعرفة الذات المحيطة بوليد، يمكن من الوصول إلى حقيقة اختفاء وليد، فهو يتجاوز الجانب الجمالي ليصبح لحظة

أيديولوجية لأنه يحمل دلالة رمزية تعكس انسحاب المثقف العربي من المواجهة بسبب عجزه عن الوقوف أمام التناقضات الاجتماعية والسياسية، فوليد ليس في نظر محفوظ شخصاً يختفي فقط بل هو رمز لغياب المشروع العربي ورمز للشّتات والتمزق وضياح الهوية الفلسطينية.

تفسر رسائل الاختفاء عند الناقد في هذا السياق على اعتبار أنها تمثل وصايا سياسية وفكرية، والتي تعبر عن خيبة وفشل الإيديولوجيا القومية العربية في تحقيق الحلم العربي في تحقيق التحرير للأرض الفلسطينية، وبناء على ما سبق يتضمن الاختفاء إدانة ضمنية للواقع العربي ودرجة الوعي الفردي والذي يفشل في تحقيق التوازن وهو ما يجعل محفوظ يقرأ غياب النهاية الواضحة في الرواية، ومنه يصبح اختفاء وليد رمز لغياب الوعي العربي من الأحداث السياسية والاجتماعية.

11-مقاربة مقارنة لاختفاء وليد مسعود:

العنصر	المقاربة السيميائية	المقاربة الإيديولوجية
الاختفاء	علامة مفتوحة	رمز لانسحاب المثقف
الرسائل	مؤولات تنتج المعنى وتفتح التأويل	خيبة وانهيار الوعي العربي
غياب النهاية	تقنية لتوليد تعدد المعنى	دلالة على سقوط السياسات العربية

الفشل والخيبة عند العرب	شريك في بناء الدلالة عبر فك العلامات	وظيفة القارئ
-------------------------	--------------------------------------	--------------

يتبين من خلال هذه المقارنة أن حدث اختفاء وليد مسعود في الرواية يمكن قراءته وتحليله من الناحية السيميائية والأيديولوجية لدى محفوظ فالتحليل السيميائي يبرز في خلق بنية دلالية مستقلة بينما الرؤية الأيديولوجية تربط النص بالجانب التاريخي والسياسي والثقافي ومن هنا تتجلى قوة حدث اختفاء وليد وقدرته على احتواء البعدين الجمالي والأيديولوجي، "على هذا الأساس يجب أن نتعامل مع شبكة القراءة باعتبارها مجموعة آليات ووسائل تطبيقية تمكننا من تحليل وفهم النصوص الروائية لذلك يجب أن نأخذها بشيء من المرونة فهي عبارة عن علامات موجهة للقراءة وليس نظاما مطلقاً"¹⁹

12- خاتمة:

تكشف رواية البحث عن وليد مسعود لجبرا إبراهيم جبرا عن قدرة خاصة لاحتواء الدلالات المتنوعة والرموز المتعددة، التي تميزت بها الروايات العربية في النصف الثاني من القرن العشرين، فقد حملت تساؤلات عن الهوية والانتماء والمثقف العربي والخيبة والفشل فرواية البحث ليست مجرد سيرة ذاتية لبطل الرواية وليد مسعود، بل هي نص مركب مفتوح على تأويلات مختلفة ومشحون بدلالات وجودية وأيديولوجية عميقة.

لقد أظهرت المقارنة بين التحليل السيميائي لرواية البحث لدى عبد اللطيف محفوظ والتأويل الأيديولوجي أن لكل دراسة زاوية خاصة في مقارنة النص الروائي، فمحفوظ انطلق من داخل النص مفككا ومحللا بنيته العلامية وكشف عن كيفية إنتاج المعنى عبر آليات التظهير ومن زاوية أخرى ربط النص الروائي بسياقه التاريخي والسياسي والاجتماعي معتبرا

الرواية تمثيلاً للأزمة التي تعيشها الذات العربية كما تشير إلى خيبتها وفشلها وانكساراتها السياسية والثقافية.

هذه الازدواجية في القراءة النقدية لرواية البحث عن وليد مسعود لدى عبد اللطيف محفوظ تبرز بوضوح أن النص الروائي يمكن قراءته وتحليله من زاويتين، فهو يحتمل قراءات مختلفة ومتباينة ودلالات متنوعة، فالقراءة السيميائية تظهر استقلالية النص وجماليته بينما يكشف التأويل الإيديولوجي أن كل كتابة تنتج ضمن شروط اجتماعية وتاريخية وثقافية لا يمكن تجاهلها في تحليل النص الروائي.

وبناء على ما سبق يمكن القول إن المفاضلة بين المقاربتين لا جدوى منها بل يجب التكامل بينهما، فالجمع بين التحليل الداخلي للنص والتأويل الإيديولوجي للنص يُمكن من فهم أعمق للنص الروائي على شرط مراعاة تعقيداته الفنية وطرحه لأسئلة تتدرج ضمن الوعي العربي المعاصر.

إن رواية البحث عن وليد مسعود فتحت المجال لتساؤلات عديدة طفت إلى السطح ولعل السؤال الجوهرى الذي يمكن طرحه هو: هل يمكن للذات العربية أن تسترجع هويتها ومكانتها بفعل الظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بها؟

- وهل تستطيع القراءة النقدية بمختلف اتجاهاتها وتنوع مصادرها أن تنتج قراءة متكاملة للنص الروائي العربي وتبرز تعدده وانفتاحه؟

وعليه تمثل هذه التساؤلات دعوة إلى الانفتاح المنهجي بين الداخل نصي والخارج نصي في إطار نقد يوظف أدوات متعددة ويؤمن بتعدد المعاني.

13- قائمة المراجع:

- ¹ أحمد يوسف السيميائيات التداولية بنياتها وحدودها، دراسات في مشروع عبد اللطيف محفوظ. السيميائي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2016م، ص22.
- ² إلياس خوري، الذاكرة المفقودة، دراسات نقدية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص9.
- ³ سعاد بن سنوسي، السيرة السيميائية ومشروع الدلالات المفتوحة، ردمك، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، ط1، 2018م، ص152.
- ⁴ عبد اللطيف محفوظ، البناء والدلالة في الرواية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص287.
- ⁵ شولز روبرت، السيميائية والتأويل، تر: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1994م، ص31.
- ⁶ عبد اللطيف محفوظ، البناء والدلالة في الرواية، ص254.
- ⁷ حامد أسماء، دحو محمد أمين، الفكر الإيديولوجي السياسي في المسرح الجزائري، مجلة النص، الجزائر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، العدد2، 2024، ص162.
- ⁸ إلياس خوري، الذاكرة المفقودة، ص133.
- ⁹ عمرو عيلان، الإيديولوجية وبنية الخطاب الروائي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2001م، ص52.
- ¹⁰ يُنظر: عبد اللطيف محفوظ، البناء والدلالة في الرواية، ص282.
- ¹¹ آراء عابد الجرمان، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، ص317.
- ¹² جبرا إبراهيم جبرا، البحث عن وليد مسعود، دار الآداب، بيروت، 1981م، ص187.
- ¹³ المرجع نفسه، ص188-189.
- ¹⁴ جبرا إبراهيم جبرا، البحث عن وليد مسعود، ص42.
- ¹⁵ عبد اللطيف محفوظ، البناء والدلالة في الرواية، ص184.
- ¹⁶ آراء عابد الجرمان، اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية، ص258.
- ¹⁷ تيرس هشام، فلسفة التأويل ما بعد ديلتاي الوجود والمنهج، مجلة النص، الجزائر، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، العدد1، 2017، ص261.
- ¹⁸ عبد الله العروي، مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب، المركز الثقافي العربي، الطبعة الرابعة، الدار البيضاء - بيروت، 2003م، ص314-315.
- ¹⁹ محمد بن يوب، نحو قراءة منهجية للنص الروائي، الأثر مجلة الآداب واللغات، الجزائر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد السابع- ماي، 2008، ص203.